حلوة يا بنت بلدى

داليـــدا

لـماذا تنتحـر الجميلات؟! مـا الذى دفع مارلـين مونرو، وناتالى دور، وروميى شـنايدر لإنهاء حياتهن على رغم الصبا والجمال والصيت والمال؟

هل نقول فتش عن الرجل كما يقولون فى فرنسا عن الرجال الذين يواجهون الصعاب فتش عن المرأة؟ وهل يمكن أن يكون انتحار داليدا «أم كلثوم باريس» وبنت شبرا مصر. ليس خروجا عن القاعدة.

انتحرت داليدا بجرعة حبوب منومة بعد أن تركت رسـالة تحمل «سـامحونى الحياة لم تعد تحتمـل»، ودفنت فى مقـبرة مون مارتا بباريس اسمها يولاندا كريستينا جيجليوتى. ولدت فى شارع خمارويه بشـبرا مصر يوم ١٧يناير ١٩٣٣ من أبوين إيطاليين مولودين فى مصر وقد جاءهـا أجدادها طلبا للرزق كما كان حال كثير من الأجانب فى بداية القرن العشرين وقد هاجروا من بلادهم بدافع الفقر، وللنجاة من الحروب هناك وكانت مصر بلدا آمنا مزدهرة اقتصاديا.

تعلمـت يولاندا العزف وتلقت دروسـا فى الغنـاء وإن كان حلمها أن تكـون ممثلة، خاصة أنها علمت من أهلها أنه كانت لديها قريبة (عمـة) ممثلة إيطالية هى إلينور دوس المتوفيـة عام ١٩٢٤، وكانت يولاندا تشعر بأنها تمتلك موهبة التمثيل بالوراثة من عمتها.

عاشـت يولاندا طفولة طبيعية بين أسـرتها، تذهب إلى المدرسـة والكنيسـة ولما وصلت لسـن المراهقة كان والدها الحاد الطباع يمنعها من الخروج مع أصدقائها خاصة أنه تأثر نفسيا بدخوله السجن لفترة لأنه إيطالى يعنى فى المعسكر الآخر ضد الإنجليز المحتلين لمصر أثناء الحرب العالمية الثانية.

لم يخـدم يولاندا وسـائل التحايـل للهروب من رقابة والدها فكانـت تخرج من البيت بحجة الذهاب إلى الكنيسـة لكنها تتجه إلى المكان الذى فيه وعدت فتاها الإيطالى الأصل أرماندو حبها الأول والثى كانت تمسك بيده حتى أثناء القداس.

فـى الكنيسـة كانت يولاندا تختار مكانا بعيدا عن النـاس لتتجنب الحرج الذى كانت تشعر به من عينها «المحولة» وقد أجرت ثلاث عمليات جراحية لعلاجها فيما بعد.

كان والدهـا يحلم لابنته بالزوج المناسـب. ورضخت لمطالبه وقبـل أن يتم المراد. توفى هـو على أثر جلطـة فى الدماغ، فرجعت عن طريق الزواج والسـتر وتطلعت لحياة أخرى لكن ظروف المعيشـة لم ترحمها فتلقت دروسـا فـى الكتابة على الآلـة الكاتبة بناء على توجيهات والدتها، وعملت سـكرتيرة فى شـركة أدوية، لكن الحلم بالنجومية لم يتخل عنهـا ولم يفارقها. سـاعدها على ذلك فوزها فى مسـابقة ملكة جمـال «مس أوندينا» عام ١٩٥١مما دفعها لتحلم بأن تكون ملكة جمال مصر بعد ذلك لولا أن والدتها سـوف تمنعها لأنها سوف ترفض أن تظهر ابنتها بالمايوه.

عـادت يولانـدا للكذب على أهلها وادعـت ذهابها لزيارة صديقـة واتجهت إلى حمام السـباحة المقام فيه مسابقة ملكة جمال مصر. وفازت يولاندا باللقب ١٩٥٤ وبدأت أبواب الشهرة تنفتح.

كانت جائزة الفوز «زوج أحذية ذهبية» لم تفرح الأم بجائزة ابنتها، ساءها ذلك رؤيتها بالمايوه على الصفحة الأولى للصحف الصادرة فى اليوم التالى.

لم تفكر ملكة جمال مصر ١٩٥٤ أن تترك العمل فى شـركة الأدوية لكن اللقب أتاح لها فرصة التواجد فى استوديوهات السينما.

واقتربت السـينما من يولاندا فاختارت لنفسها اسم دليله نظرا للشبه بينها وبين هيدى لامار بطلة فيلم «دليله وشمشون»

شـاركت دليله مع شـادية الظهور فى أغنية«على آخر سرعة يا عربية» فى فيلم «الظلم حرام» عام ١٩٤٨.

وأسـند المخرج نيـازى مصطفى لها ١٩٥٤ دور ممرضة فى فيلم «سـيجارة وكأس» مع سـامية جمال ونبيل الألفى وسـراج منير ومحمد رضا وحسـين عبد النبى وحسـنى كلود وميرفت كاظم.

وكانت دليله قد ظهرت فى فيلم «غزل البنات» ١٩٤٩ ضمن شـلة صديقات ليلى مراد يركبن الخيل ويتراقصن على أغانيها.

وجاء إلى مصر فريق أمريكى لتصوير فيلم بعنوان «brother Joseph and his» بطولة كولن جوان. واحتاج المخرج دوبليرا للبطلة فاختار دليله لجسمها ولشعرها الكثيف القريب الشبه من شعر جوان. وللابسها أيضا. الفيلم كان يجرى تصويره فى مدينة الأقصر وهناك وجدت نفسـها أمام ممثل صغير جاء يبحث مثلها عن الشـهرة. إنه عمر الشريف الذى تعلق بها لكنها عاملته ببرود شديد.

عـرف المطرب الملحن محمـد فوزى داليدا قبل أن يتعرف إليهـا الآخرون فى الحياة الفنية. فقد لحن لشقيقها برونو أغنيات من لون الفرانكو أراب مثل «يا مصطفى يامصطفى» التـى غناها فيما بعـد مطرب الفرانكو أراب بوب عزام ولاقت نجاحا كبيرا وقد أشـرك فـوزى، داليـدا فى أدوار صغيرة فى الأفلام التى أنتجها فى هذه الفترة ومنها سـيجارة وكأس الـذى عرض ١٩٥٤. ثم تحول برون من الغناء ليعمل مديرا لأعمال أخته (النجمة العالمية فى باريس فيما بعد) بعد أن اسـتعار اسـم شـقيقهما الأكبر أورلاندو الذى كان يتقمـص دور الأب الحمش فى حياتها فلما كبر فى السـن خلد إلى الهدوء فى سويسـرا حيث أقام بصفة دائمة هناك.

قررت دليلة السفر لفرنسا بحثا عن الشهرة على رغم اعتراض والدتها وسافرت يوم ٢٤ يناير ١٩٥٤. فى البداية داهمها شعور بالقلق والوحدة خاصة أن فصل الشتاء قد لوّن شوارع عاصمـة النور باللون الأبيض الجليدى. والرياح تعصف بها من هنا إلى هناك مما أشـعرها بالحاجة إلى شمس مصر. لكن من أراد العلا تحمل البرد والرياح الباريسـية. نزلت دليلة فى فندق بسيط قريب من الشارع التجارى الشهير «الشانزليزيه».

وفى اليوم التالى كان لديها موعد مع هنرى فيدال الرجل الذى وعدها بالمسـاعدة لكنها اكتشـفت أن علاقته كانت بمنتجين يعملون فى مجال الأفلام الضعيفة فقررت أن تصرف النظر عن مساعداته وتعتمد على نفسها. فقدمت طلبات إلى وكالات مختلفة مهتمة بالبحث عـن مواهـب فى مجال التمثيل، وعادة ما يتقدم إلى مثل هـذه الوكالات طوابير طويلة من أصحاب المواهب والمدّعين.

لم تعترف دليلة بالهزيمة فى مدينة النور ولم تستجب لنداء أمها بالعودة إلى مصر. لكن لما خلصت فلوسها كانت مضطره لتنفيذ طلب أمها. لولا الصدفة التى دائما ما تصنع المعجزات وتحقق الآمال.

لمح رولاند برجر دليله وأعجب بقوامها وشعرها ورأى فى هذه الإمكانيات مسوغات تعيين فى الحياة الفنية تقدم إليها قائلا: نحب نتعرف. وكان مدربا للصوت وتطورت علاقتهما. حاول إقناعها بأن تغنى بدلا من التمثيل. فقد سمع تميزا فى صوتها. ورأى أن شهرتها يمكن أن تأتى من غنائها.. ورفضت.. وألح.. فوافقت. فواظب على إعطائها دروسا فى الموسيقى وتدريبات فى تربية الصوت وقد تحمل كثيرا من عصبيتها الموروثة عن أبيها، حتى أصبحت لائقة فى الغناء ثم بدأت بالملاهى فى باريس.

سكنت دليلة مع صديقة لها جينا جوردل فى عمارة كان يسكن فيها بالصدفة آلان ديلون الذى أصبح فيما بعد نجما عالميا فى التمثيل السينمائى ثم منتجا أيضا. لم يكن يربطها بديلون فى البداية إلا مايدور عادة بين الجيران «هاى..هاى.. باى.. باى..» ثم أصبحا صديقين. كل منهما يشجع الآخر ولما يفشل تواسيه ولما تدهور الحال بالنجم الفرنسى- اقتصاديا- وضعت ثلاجتها تحت أمره بالكرم المصرى.

رأى صاحب الكباريه الباريسى الذى تغنى دليلة فيه وقرر أن يضعها ضمن البرنامج الثابت لتغنى أمام الجمهور كل ليلة. ونفس اليوم كان موعدا لديلون مع اختيار للهواة يعقده مخرج كبير. ونجح واختاره المخرج لدور فى الفيلم الجديد من بين مائة هاو أجرى عليهم الاختبار.

فى أول حفل لدليلة فى الملهى غنت «لديك نجمة بين يديك انظر إليها.. ياله من وجود» ولم يصفق من الحاضرين إلا عدد قليل فقد شُغلوا عن غنائها بقراءة «المينيو».

فى ليلة ما بينما تغنى التقت فريد صديق المخرج السينمائى الذى اكتشفها فى الأقصر «قال لها إن اسم دليله غريب على الأذن الفرنسية، بل هو عدوانى، ويجب تغييره، ترددت دليله فهى تغنى بهذا الاسم منذ بدايتها الاحتراف. فكرت فى استخدام اسمها الأصلى يولاند مع خلطه باسم دليله فكان الناتج.. داليدا.

وفى ليلة من ليالى الملهى اكتشفت أن برونو مدير أولومبيا موجود فى الصالة أشهر قاعة للموسيقى فى باريس. جاء يبحث عن مواهب فى الغناء، غنت بشكل رائع لتلفت أسماعه، وأعجب بصوتها، وأخرج ورقة وكتب عليها اسمها.

ارتبطت داليدا بعقد محكم مع برونو فكان يعد لها العقود مع شركة «انترناشيونال شو» التى كانت تنتج أعمالها ويرتب لها المواعيد فى العمل واللقاءات الإعلامية ويشرف على تسجيلاتها فى استوديوهات باريس مع ملحنها جاس برنال، وكانت داليدا الدجاجة التى تبيض ذهبا لبرونو ليلهط كل البيض.

استمع لوسيان موريس مدير إذاعة أوروبا ، إلى داليدا مع إيدى باركلى أشهر منتج إسطوانات فى منتصف القرن العشرين. فى حفل للمواهب الجديدة.أقامه برونو فى أوليمبيا وكانت داليدا قبل أن تلتقى بلوسيان مجرد واحدة من مطربات الملاهى الليلية فى باريس. فأنتج أول إسطوانة بصوتها بأغنية «الملاءة الذهبية» ونجحت، وانتشرت واحتكرت المركز الأول فى إذاعة أوروبا لفترة طويلة.

بعد أربع سنوات من الحب والعمل مع لوسيان موريس تزوجا. ولم يدم الزواج إلا ١٢٠ يوما وانتحر العريس عام ١٩٧٠فى شقة الزوجية.

كان آلان ديلون قد بدأ خطواته فى السينما فأعطى داليدا فرصة الغناء فى السينما الفرنسية من خلال فيلمه «القلب الخفاق» وغنت فيه «أنا حب» وانتشرت وذاعت شهرتها عبر كل فرنسا.

والرجل التالى فى حياة داليدا كان يصغرها فى العمر بسنوات قليلة اسمه لويدى تنجو، اشترك فى مسابقة سان ريمو للأغنية الخفيفة. ولم يحصل على المركز الأول، فانتحر عام١٩٦٧. وحاولت أن تلحق به فى أول محاولاتها للانتحار فتناولت كمية من الحبوب المنومة، لكن الله أراد لها أن تعيش، وإن كانت قد أصيبت بمرض الاكتئاب، منتظرة نهايتها لتعود وتلتقى بحبيب القلب المنتحر. وكانت داليدا قد غنت باللغات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية أغنية بعنوان «وجدت حبى فى بروتوفينو» تحكى قصة مشابهة لقصتها مع لويدى تنجو، قبل أن يلتقيا، أثر تنجو فى حياة داليدا فانشغلت بقصص العشق والرجال المحبين وبحب صناعى تلجأ إليه هربا من القلق أو العمل العنيف الذى أغرقها فيه أخوها مدير أعمالها برونو فى محاولة ليخرجها من الغم والكآبة.

خفتت الأضواء أكثر من مرة عن داليدا. واختفت تماما عدة مرات. أما الأسباب فكانت مختلفة ومتنوعة فلما أحبت رساما، على زوجها لوسيان موريس مدير إذاعة باريس الذى

انحسر عام ١٩٧٠ ايامها تخلى عنها الزوج المخدوع. فانزوت تسهرها وكان الرأى العام الفرنسى متعاطفا معه وينظر إليها كخائنة.

وبعد ان انتهت وقائع الحرب العالمية الثانية، احتاجت الجماهير إلى اغنية رومانسية ناعمة تتناغم فيها أصوات الجيتار الأسبانى والماندولين وصوت ناعم رقيق كصوت داليدا، لكن بعد فترة وجيزة عمت أوروبا -كرد فعل لأحداث الحرب المنتهية- موجة من الغناء الراقص هى أغانى «الروك أند رول» وتحول الجيتار الأسبانى إلى كهرباء. ولعلع الصوت الكهربائى لآلة الأورج المطوّر، وتسيد فن الإيقاعات العالمية فى الغناء، وانزوى الغناء الرومانسى الناعم الذى تقدمه داليدا وظهرت قنبلة الغناء الإنجليزى الذى سيطر على العالم وهى فرقة «الخنافس أو البيتلز» التى قضت على الأمل الباقى للأصوات الرقيقة وأصبحت داليدا موضة قديمة وتتابعت الألوان المعادية للرومانسية مثل «التوست» و «الديسكو»...

كان على داليدا أن تختار إما أن تظل على لونها الناعم متمسكة به راضية بأن النصيب كده.. وإما أن تنسحب من مجال الغناء الذى أحبته وعشقت أضواءه منذ طفولتها فى شبرا مصر، وإما أن تتلوّن بلون الموضات الحديثة ولتتعايش مع الموجات الجديدة..

اختارت الاتجاه الأخير وهو السير فى اتجاه الريح الغنائى، فتحولت إلى الاستعراض على الطريقة الامريكية وأدخلت كثيرا من المفردات باللغة الإنجليزية أو الأمريكية فى أغانيها لتتماشى مع أغانى البيتلز وإمعانا فى لبس الثوب الفنى الأمريكى تحولت إلى كاوبوى فوضعت سكينا فى شرابها ومسدسا فى البنطلون المخرق وقد قاست وتحملت فى سبيل ذلك من تدريبات شاقة ودروس متخصصة.

يرى البعض أن داليدا عندما عادت للغتها العربية كانت مجبرة على ذلك ويؤكد أصحاب هذا الرأى أنها لم تكن تحب العرب ولا مصر ولاتنسى فشلها فى الحصول على فرصة لتكون منافسة لليلى مراد.

عادت داليدا لتغنى «سالمة يا سلامة.. رحنا وجينا بالسلامة» وأيامها رفع ورثة سيد درويش القضية رقم ١٥ فى سلسلة القضايا التى كان يرفعها محمد البحر سيد درويش على كل من تسوّل له نفسه أن يقترب من ألحان خالد الذكر والده، وقد اعتبرت جمعية المؤلفين، والملحنين فى القاهرة التى تعنى بشئون حق المؤلف والملحن المصرى أن اللحن هو

تحوير ملحنها للحن الشيخ سيد، وبناء عليه يقسّم دخل إذاعة اللحن مناصفة بين الملحن وورثة سيد درويش.

نجحت «سالمة ياسلامة» بصوت داليدا ولهجتها الخواجاتى فكررت التجربة بأغنية «حلـوة يابلـدى» وقد كتـب كلماتها ملحن مصـرى كان مقيما فى باريـس هو مروان سعادة.

أغرى نجاح داليدا فى الغناء العربى أحد المنتجين المصريين فى أن يقيم الحفلات فى مصر فأرسـل لها عام ١٩٨٠خطابا يطلب توكيلا عاما لطبع أغانيها فى بلادنا فطلبت أجرا عشـرة آلاف دولار للشـريط الواحد. ووافق واتفق على طبع كل أغنياتها الحديثة على ٨ شرائط كاسيت «لم تكن الاسطوانات المدمجة CD قد تم اختراعها بعد».

حققـت أغانى داليدا نجاحا معقولا حيـث باعت عام ١٩٨٠ ما يقرب من ٥٠ ألف شـريط فى السـنة وهو رقم ليس كبيرا إذا قيس بأصوات ذلك الزمن ومنهم محمد فؤاد وحسن الأسمر وكان كل منهما تبيع أغانيه أربعة أضعاف هذا الرقم.

وأغنيـة سـالمة يا سـلامة. غنتها داليدا باللغة الفرنسـية مرة ولاقـت فى الحالتين نجاحا لافتا. للحنها البسيط والجميل واستخدامها الموتيفة المصرية الشعبية أما كلماتها فتقول»

فى الدنيا الكبيرة.. وبلادها الكتيرة
لفيـت .. لفيـت .. لفيـت
ولمانـادانـى حبيبـى الأولانـى
وفى حضنـه اترميت وغنيت

□□□

سالمة يا سلامة.. روحنا وجينا بالسلامة

□□□

لسه الحب الصافى ولسه الجو الدافى
ولسه فيه قمر
وبعـد المغارب نتلملـم فى قارب

ويطول السهر والسمر والغنا كلنا

□□□

سالمة يا سلامة .. رحنا وجينا بالسلامه

□□□

فين شجرة جوه جنينة عليها علامة

أنا ياما كنت بفكر فيها وبســـأل ياما

ياترى موجودة وقلبى محبوس فيها

□□□

سالمة يا سلامة .. رحنا وجينا بالسلامه

واستمر غزل داليدا فى بلدها الأصلى مصر فى أغنيتها الثالثة باللغة العربية وهى «حلوة يابلدى» التى تقول كلماتها :

كلمة حلـوة وكلمتين .. حلوة يا بلدى

غنوة حلوة وغنوتين .. حلوة يابلدى

أملـــى دايمـا كـــان يا بلـــدى

.. إنـــى ارجعلـك يـا بلـــدى

علـى طـول

ذكريات كل اللى فات .. فاكرة يا بلدى

قلبى مليان بحكايات .. فاكرة يا بلدى

أول حـــب كـــان ف بلـدى

.. مـش ممكـن أنسـاه يـا بلدى

فـين أيـام زمـان .. قبـل الـوداع

كنـا بنقول إن الفراق دا مسـتحيل

وكل دمعه على الخدين كانت بتسيل

مليانه بأمل إن احنا نبقى موجودين

ف بحـر الحـب علـى الشـطين

وحلمه حلوه وحلمين..حلوه بالدى

غنوة حلوة وغنوتين حلوة بالدى

□□□

فين حبيب القلب يا بلدى..

كان بعيد عنى يا بلدى

وكل ما نغنى بفكر فيه

قول ياحبيبى أنت سايبنى ورايح فين

أجمل لحظة حنغنى إحنا الاثنين

يا محلا كلمة بلدى فى غنوة من سطرين

ياليل ياعين.. ياليل يا عين

وهذه أسماء بعض أغنياتها التى حققت نجاحا ملحوظا فى الأسواق الفرنسية وأيضا المصرية:

POUR TE DIRE JE TAIME

LA OU JE TAIME

UNE VIE D'HOMME

REVIENS MOi

C'ETAIT MONAMI

LA PENSIONE BIANCA

TOUTES CES HEURES LOIN DE TOI

MON ITAIE

SOLEIL

KALI MBA DE LUNA

□□□

أما أشهر أغانيها العربية فهى «أحسن ناس». وهى طويلة فى مدة تسجيلها وحجم الكلمات وهى سياحة شعبية فى بعض مدن مصر، وتحية لشعوب هذه المدن. وهى فكرة

تكـررت قبل أغنية داليدا، وبعدها، إذ كتب الشـاعر الكبير فـؤاد حداد أغنية «الفلة وياّ الياسمينا» يسـتعرض فيها محافظات مصر ومدنها الكبرى وغناها محمد منير وغناها بعض المطربين الشـعبيين مستعرضا مدن مصر والأحياء المشهورة فى بعضها، تحية منه للجمهور الحاضر فى الأفراح وتحفيزا لاستخراج . «النقطة» التحية الشعبية المعروفة.

تقول كلمات أغنية احسن ناس:

أدينـا بنـدردش .: ورانا إيه
بنحكـى ونفرفش .. ورانا إيه
بنحـب نتعـرف .. ورانا إيه
بنحب نتشـرف .. ورانا إيه
ومنين يا بلدينا .. وبلدكوا إيه
أحسـن نـاس.. أحسن نـاس

□□□

سـوهـاج بلـد المواويـل
سـوهـاج بلـد الزغاليـل
سـوهاج يا حبيبـى ياحبيبى
سـوهاج دى عروسـة النيـل
سـوهاج يابـوى عالم شـغّال
سوهاج يابوىيرخص له المال
رجالـه جـد وحمـل جبـال
يابلدينا .. بلدينا

□□□

ادينـا بنـدردش .. ورانا إيه
بنحكـى ونفرفـش .. ورانا إيه

□□□

على كوبرى بنها يا نور عينى
منـديـل حبيبـى طـرف عينى

بعـــد الفـــراق والأشـــــواق
جمـــع الهـــوى بينـه وبينـى
□□□
يـــا إسماعيلية يـــا إسماعيلية
أحـــب أزورك فـــى المغربيـــة
أركـــب فلوكـــة أنـــا وحبايبى
وأغنـــى غنـــوة ع السمســـمية
آه يالا لالى.. حبيبى يا لا لالى
ياروحى يالاللى
□□□
أدينـــا بنـــدردش .. ورانا إيه
بنحكـــى ونفرفش .. ورانا إيه
□□□
ع المحلة منين يا ســـمنودى
ع المحلة منين أرض جدودى
ع المحلة منين آه ياشـــن ورن
ع المحلـــة منـــين ياسمنودى
□□□
إســـــكندرية احســـن نـــاس
ع البحـــــر ماشـــية تتمخطر
من سيدى بشـــر لأبوالعبـاس
أيـــوه يـــــا عـــــالم ع المنظر
أيـــوه يـــــا عـــــالم ع المينا
وشـــــوق بيتمـرجح بينـــــا
وتلتميـــــت ألـــف ســـــفينة

ع البحـــر مـاشيـة بتـزمـــر
يـا نقرزان حـــىّ الجـدعان
حـىّ العرايـس والعرســان
محروســة م الإنس وم الجان
ياحلــوة يا أم التــوب لخضر
لـلـلـ
لا لا لا.. وأنـا مـن شـبرا
فـى مصـر وولادهـا الطعمين
زى القمـر بعيـون سمـرا
لابســين عقود فـل وياسمين
والنيـل بيضحـك ويغنـى
فاكرنـى وبيسـأل عنـى
أروح لـه ألقـاه مسـتنى
وجنـب منـه أحسـن نـاس
أحسن ناس
أحسن ناس
أحسن ناس

أغنية مصرية خالصه ليس فى أسماء الأماكن أيضا فى مفرداتها «وأحســن ناس» عبارة مسـخدمة فـى الحياة اليومية كتحية عند التعارف فى مصـر والزغاليل، و «الواويل» من الألفاظ المستعملة بكثرة عند المصريين وكذلك «يابوى»، «وحمل جبال» و «منديل حبيبى» وأغانى السمسـمية وعبارة «ياشـن ورن» لا يعرفها غير أولاد البلد وأبو العباس، من ملامح الإسكندرية، و «النقرزان» آلة إيقاع شعبية مصرية الهوية.

أما الغناء لحى شبرا فيعكس الحنين من داليدا للماضى والطفولة والمراهقة والنيل دائما فى انتظارها ومعه المصريون الذين هم أحسن ناس.

واللحن فيه بسـاطة البيئة الشـعبية المصرية. فهو سرد نغمى بسيط: من مقام موسيقى واحـد (دو الكبير) وإيقاع مصرى واحد هو «المقسـوم» يتخللـه بعض الجمل الزخرفية من

باب التلوين لاتخرج عن السياسة اللحنية للأغنية. ويلعب التصفيق الإليكترونى دورا فى تأكيد الإيقاع الشعبى.

واشـتمل اللحن على جزء بسـيط خرج فيه الملحن عن الطابع الشعبى عندما أعاد لحن جملـة «على كوبرى بنها» بصـوت الكورال، بجملة لحنية مختلفة عن سـياق اللحن فى بسـاطته وشـعبيته أما قفلة الأغنية فهى تكرار لحنى متصاعد لجملة «أحسن ناس» تعطى انطباعا بقفلة مسرحية.

فـى عام ١٩٨٢ طلب أحد المنتجين من داليدا الغناء فى حفلات على مسـارح القاهرة. وطلبـت ١٥ألف دولار عن الحفل الواحد، ووافق. وعـادت لأول مرة بعد غياب دام أكثر من ربع قرن لتغنى، يرافقها جيش من العازفين والراقصين والمغنيين والعمال واللبيسـة مع أخيها مدير أعمالها برونو، وسـكرتيرها الخاص أنطوان: غنت فى نادى الجزيرة، وفندق شـيراتون هليوبلس- بجوار مطار القاهرة وقد تغير اسمه.وعلى مسرح عبد الوهاب الصيفى بالإسكندرية.

فكـررت بعد عام واحد رحلة داليـدا الغنائية فى مصر ثم بعد ثلاثة أعوام وفى كل عام لم تكن إيرادات حفلاتها تفى بالمصروفات عليها وفى أجرها الكبير لكن الحفلات شجعتها على العودة للأغانى الشـعبية المصرية. فسـجلت من تأليف صلاح جاهين أغنية «حلوة يا بلدى».

ثم سجلت أغنية «جميل الصورة» ولحن الأغنية ملحنها الملاكى جاس برنال وهو مصرى الأصل شـرب من النيل وعاش فى حوارى الغورية والكحكيين ثم هاجر إلى باريس بعد أن بلغ سن الرشد.

(وكان أحـد الملحنيين المصريين قد أعد لها دويتو مع المطرب محمد منير لكن المشـروع لم ير النور).

قد تكون عودة داليدا إلى الحياة المصرية والثقافة والفن المصرى هو الذى شـجع المخرج يوسف شاهين فى إسناد دور فلاحة مصرية للنجمة التى انغمست فى اللغة والثقافة والفن الفرنسى وأصبحت لهجتها المصرية خواجاتى. وقد يكون السبب هو إرضاء الجهة الفرنسية التى شاركته إنتاج الفيلم وهى فرنسا.

قامت داليدا في عام ١٩٨٦ بعصور فيلم «اليوم السادس» مع محسن محي الدين وحمدي أحمد وسوسن بدر وصلاح السعدني وعبله كامل وسماء يونس ومحمد منير وعهدي صادق. الفيلم عن قصه لأندريه شديد وموسيقى عمر خيرت إخراج يوسف شاهين.

قصة الفيلم تدور حول وباء الكوليرا الذى انتشر عام ١٩٤٧ فى القاهرة وبعض المدن المصرية، ليلقى كل المصابين مصرعهم بعد ستة أيام من بدء إصابتهم بالمرض. يصاب حفيد الفلاحة «صديقة» التى تجسد شخصيتها داليدا بالمرض فتهرب به إلى مدينة رشيد وتحاول علاجه بنفسها ثم تسافر إلى القاهرة لتشارك فى دفن بعض الذين ماتوا من المرض نفسه من أهلها فلما تعود تعرف أن حفيدها أصابته انتكاسة بعد علمه بإصابة أستاذه فى المدرسة، وكان يعتبره القدوة وعلى مركب العودة يتعاطف «عوكا القرداتى» مع صديقه ويتحول عطفه إلى حب رغم فارق السن؛ تركب معه للذهاب إلى البحر الأبيض المتوسط عند فرع رشيد النيل، وعند شروق شمس اليوم السادس يموت حفيد صديقة فتنهار.

إنها قصة مأسوية لون زوزو نبيل أو أمينة رزق، أو حتى سميرة أحمد، أما داليدا التى أسند إليها المخرج بطولة الفيلم فما كان أحوجها إلى فيلم يعرض أحداثا يمكن أن تكون غنائية أو رومانسية حتى يصدقها المشاهد العربى أو الفرنسى لكن ما يحسب لها أنها قامت فى الفيلم بدور جدة ثم إنها لم تستخدم المكياج يرى أصحاب الرأى القائل بأن داليدا لاتحب بلد الميلاد والنشأة «مصر»، وأن ظهورها فى فيلم فى دور فلاحة مصرية تأكل السريس والجعضيض ويموت حفيدها من الحمى هى محاولة يائسة من جانبها لإغراء الأضواء لكيلا تخبو أو تذبل أو تبهت أو تنزوى. ويؤكدون أن أغنية داليدا التى تقول فى بعض كلماتها «نفسى أموت وأنا أغنى على المسرح أمام كشافات الإضاءة، وفى مواجهة الجماهير» كانت رغبة حقيقية عندها وماتت داليدا ٥٤ سنة عمرا، وقد تكررت محاولتها الطبية من أجل الإنجاب لكنها فشلت ولما توارى أملها فى أن تكون أما ركزت فى الاهتمام بالحياة السياسية الفرنسية تبنت الحزب الاشتراكى الفرنسى الكبير ووقفت فى عام ١٩٨١وراء فرانسو ميتران تدعوا له فى المجتمعات وتقيم الحفلات للدعاية الانتخابية له ولكنها لاقت إهمالابعد نجاحه.

وكما كانت داليدا صديقة لميتران وكانت تربطها علاقة طيبة برئيس الوزراء جاك شيراك وكان عمدة لباريس، ثم رئيسا للجمهورية الفرنسية وقد رثاها بقوله «حزنت كثيرا من أجل

داليدا، لقد كانت سيدة كبيرة فى الغناء الفرنسى. واستطاعت بكل نزاهة وحرارة أن تلمس قلوب الفرنسيين».

أما فرانسو ليونارد وكان وزيرا لثقافة فرنسا فى السنة التى انتحرت فيها قال «موت داليدا المفاجئ أحزننا جميعا. لقد كانت عبر مشوارها الطويل، تغزو قلوبنا. وتترجم ما نحسه حتى أصبحت صديقة لنا»

وقال عنها جاك رانج وكان وزيرا لثقافة فرنسا قبل فرانسو ليونارد: داليدا كانت سيدة عظيمةوصادقة فى كل ما تغنى

ولست مع الرأى القائل بأن داليدا لم تكن تحب مصر. وتحقد عليها بعد أن فشلت فى الحصول على فرصة من أضوائها. فقد كانت تعتز بمصريتها. وأحبها الفرنسيون لفنها ولأصلها فأطلقوا عليها ألقابا كثيرة. منها «سيدة النيل» و «سيدة الأهرامات» و «كليوباترا العصر الحديث».

وعبرت داليدا عن سعادتها عندما عرض عليها يوسف شاهين بطولة «اليوم السادس» وقالت فى لقاء تلفزيونى للفرنسى فريدريك ميتران: «إننى أعتبر هذه البطولة التى أسندها لى يوسف شاهين بمثابة الهدية العزيزة، فمصر مازالت بداخلى. لأننى عشت فيها سنوات طفولتى ومراهقتى»

وردا على سؤال جمهورها فى مصر قالت:

«الجمهور المصرى أكثر حرارة من الجمهور الفرنسى فهو يشترك مع المغنى فى أداء الأغنية. إننى أشعر بمودة صادقة لهذا الجمهور الذى يحبنى. ويسعدنى كثيرا بتعلقه بى عندما أزور مصر من وقت إلى آخر».

وفى حديث لإحدى الصحف الفرنسية قالت داليدا:

«لعل مايؤثر فى نفسى هو احتفاء المصريين بى. فأنت تجد كل إنسان يلقى عليك التحية حتى دون أن يعرفك أو تربطك به صلة. على العكس ما يحدث فى فرنسا والغرب عموما. فالجار لايكاد يدرى من أمر جاره شيئا»

من الصعب أن نحصر تراث داليدا فى الغناء. لكنه بالتقريب يتكون من ٤٠٠ أغنية باللغة الفرنسية و ٢٠٠ أغنية باللغة الإيطالية ومثلها بلغات مختلفة منها الألمانية والأسبانية

واليابانية والعربية وبيع من أغانيها ٨٥ مليون أسطوانة وقد تم ترجمة هذا النجاح إلى تقدير عالمى تمثل فى جوائز كثيرة حصلت عليها داليدا منها:

- جائزة الأوسكار العالمى للإسطوانة عام١٩٧٤فقد اعتبرت خمس دول أن أغنيتها«جيجى لمبروزو» هى الأغنية الاولى فى ذاك العام. كما اعتبرت ثلاث دول أن أغنيتها «بلغت ١٨ سنة» هى الأغنية الأولى للعام نفسه لذلك استحقت الجائزة للإسطوانة البلاتينية لشركة لوكس للتسجيلات عام ١٩٧٥ وذلك لتحقيقها أعلى المبيعات فى أسطوانة «جيجى لامبروزو» وقد ضربت الرقم القياسى الذى سبق أن حققت مبيعات الأغنية العالمية «غريب ف الليل» للنجم الأمريكى العالمى فرانك سيناترا.
- جائزة أكاديمية الأسطوانة بفرنسا عام ١٩٧٥ عن أغنيتها «بلغت ١٨ سنة» غنت داليدا مع إيف منتان عام ١٩٥٨ على مسرح ميوزيك هول فحصلت على جائزة «برافو» وهى جائزة كبيرة جدا فى فرنسا.
- جائزة الأوسكار خمس مرات من إذاعة مونت كارلو
- الأوسكار العالمى للإسطوانة عام ١٩٦٣.
- هى النجمة الوحيدة التى حصلت على الإسطوانة البلاتينية عام ١٩٦٤بعد أن تعدت مبيعاتها فى تلك السنة الـ ١٠ مليون أسطوانة.
- جوائز عديدة من إذاعة لوكسمبرج آخرها فى أكتوبر ١٩٧٠.
- ميداليه مدينة باريس ١٩٦٨.
- أوسكار النصر للأغنية عام ١٩٧٣.
- ٢٠ ميدالية من دول مختلفة.
- ٥٢ أسطوانة ذهبية.
- جائزة الصليب القرمزى من دار المثقفين فى فرنسا ١٩٦٨.
- ميدالية ذهبية من الرئيس الفرنسى شارل ديجول ١٩٦٨.
- أقامت فرنسا لها تمثالا لتصبح ثالث سيدة فى تاريخ فرنسا بعد جان دارك. وساره برنار تحظى بهذا التكريم.
- كرمها الرئيس الفرنسى بإعطائها لقب . de la presidence de la Repubique (ميدالية رئاسة الجمهورية الفرنسية).

ف أطلقت بلدية باريس اسمها على احد الشوارع في الحي الذي كانت تسكن فيه وطبعت صورتها على طابع بريد هناك.

□□□

ماتت داليدا، ام كلثوم باريس، بنت شـارع خمارويه بشـبرا منتحرة يوم ٣ مايو ١٩٧٨ فرغم النجاح الكبير الذي حققته عالميا الحلوة بنت بلدي، إلا إنه لم يحمها من الاكتئاب.. انتحرت، الجميلة، الشهيرة، فإذا أردت أن تعرف السبب.. فتش عن الرجل!

□□□